للإعلام
alghuraba media

كن يقظاً من ..

خطوات الشيطان

لفضيلة الشيخ
حمد الحميدي
فك الله أسره

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

1436 هـ 2015 م

للإعلام
alghuraba media

كن يقظًا من خطوات الشيطان

لفضيلة الشيخ:

حمد الحميدي

فك الله أسره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[كن يقظًا من خطوات الشيطان]

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الذي حذرنا من عدونا الذي أخرج أبوينا من الجنة أشد التحذير؛ فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ الأعراف: ٢٧، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي أخبر بأن الشيطان يجري مِن ابن آدم مجرى الدم، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاعلم بأن الشيطان قعد لابن آدم بطرق الخير كلها؛ فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه؛ يمنعه بجهده أن يسلكه، فعن سبرة بن أبي فاكه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه؛ فقعد له بطريق الإسلام فقال: تُسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول! قال: فعصاه

فهاجر، قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتُقتَل، فَتُنكَح المرأة ويُقسَم المال! قال: فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: "فمَن فعل ذلك كان حقًّا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، أو قُتِل: كان حقًّا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق: كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته: كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة" رواه أحمد ٣\٤٨٣ والنسائي ٣١٣٦.

فقد وصف النبي ﷺ في هذا الحديث حال الشيطان مع ابن آدم؛ فإن خالفه وسلك طريقه: ثبطه فيه وعوّقه، وشوّش عليه بالمعارضات والقواطع، فإن عمله وفرغ منه: قيّض له ما يبطل أثره ويرده على حافرته، ويكفي من شره أنه أقسم بالله ليقعدن لبني آدم صراطه المستقيم، وأقسم ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، وقد حذرك الله من عدوك أن يفتنك عن دينك، وأن تتبع خطواته، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١﴾ النور: ٢١، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٠٨﴾ البقرة: ٢٠٨،

ولا يمكن حصر أجناس شره وخطواته، فضلاً عن آحادها؛ إذ كل شر في العالم فهو السبب المزيّن له الحاضّ عليه.

وهنا نذكر بعض الخطوات التي لا يزال الشيطان حريصًا أن يوقعك فيها أو في واحدة منها؛ فالخطوة الأولى "خطوة الشرك والكفر بالله وبدينه ولقائه، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله عنه، وبمعاداة الله ورسله وأوليائه، وتولي أعدائه، وعدم تحكيم كتابه وسنة رسوله ﷺ، وغير ذلك من أنواع الكفر.

فإذا ظفر بذلك من ابن آدم: بردت نار عداوته، واستراح من تعبه معه، وهو أول ما يريد من العبد، فلا يزال به حتى يناله منه، فإذا نال ذلك :صيّره من نوابه وجنده وعسكره، واستنابه على أمثاله وأشكاله، فصار من دعاة إبليس ونوابه، فإن يئس منه، ونجا من هذه الخطوة ببصيرة الهداية، وسلم معه نور الإيمان، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه: طلبه في الخطوة الثانية؛ وهي " خطوة البدعة؛ إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله ﷺ، وأنزل به كتابه، وإما بالتعبّد بما لم يأذن به الله من الأوضاع والرسوم المحدثة في دين الله، التي لا يقبل الله منها شيئًا، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذّر أمته من المحدثات والبدع، ويأمرهم في مقابل ذلك بكتاب الله وبهديه ﷺ، فقد كان يقول في خطبته بعد حمد الله والثناء عليه: أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة. رواه مسلم٨٦٧

واعلم أن البدعتين المتقدم ذكرهما متلازمتان، قلّ أن تنفكّ إحداهما عن الأخرى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تزوّجت الحقيقة الكافرة بالبدعة الفاجرة، فتولّد بينهما خسران الدنيا والآخرة.اهـ.

وإيقاع إبليس في خطوة البدعة: أحب إليه من الفسوق والمعاصي؛ لمناقضتها للدين، ودفعها لما بعث الله به رسوله ﷺ، وضررها متعدٍّ، وصاحبها لا يتوب منها ولا يرجع عنها؛ لأنه لا يعدها ذنبًا بل يدعو الخلق إليها، وهي دعوة مخالفة لدعوة الرسل؛ لتضمنها القول على الله بلا علم، ومعاداة صريح السنة، ومعاداة أهلها، والاجتهاد على إطفاء نور السنة، وتولية مَن عزل الله ورسوله ﷺ، وعزل مَن ولّاه الله ورسوله ﷺ، واعتبار ما رده الله ورسوله ﷺ، ورد ما اعتبراه، وموالاة من عاداه، ومعاداة من والاه، وإثبات ما نفاه، ونفي ما أثبته، وتكذيب الصادق، وتصديق الكاذب، ومعارضة الحق بالباطل، وقلب الحقائق بجعل الحق باطلاً والباطل حقًّا، وهي باب الكفر والشرك، والإلحاد في دين الله، وتعمية الحق على القلوب، وطلب العوج لصراط الله المستقيم، وفتح باب تبديل الدين جملة؛ فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها، حتى ينسلخ صاحبها من الدين وهو لا يشعر، كما تنسل الشعرة من العجين، وقد وصف النبي ﷺ لنا الصراط المستقيم وأمرنا باتباعه، ووصف لنا السبل الضالة المبتدعة في الدين، وأن الداعي إليها شيطان؛ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: "هذا سبيل الله"، ثم خط

خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: (وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) رواه أحمد١\٤٣٥.

واعلم أن مفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر، والعميان ضالون في ظلمة العمى؛ قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ فاطر: ٨، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ النور: ٤٠، وقال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ الغاشية: ١ - ٤، فإن أعجزه من هذه الخطوة، وخلص منها بنور السنة، واعتصم منها بحقيقة المتابعة، وما كان عليه السلف الأخيار، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهيهات أن تسمح الأعصار المتأخرة بواحد من هذا الضرب، فإذا وجد نصب له أهل البدع الحبائل، وبغوه الغوائل، وقالوا: مبتدع محدث، فإن قطع هذه الخطوة، وكان من عباد الله، الذين سبقت لهم من الله موهبة السنة، ومعاداة أهل البدع والضلال: نقله إلى الخطوة الثالثة؛ وهي: خطوة التحريش بين المسلمين، سواء فرادى أو جماعات؛ فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم" رواه مسلم٢٨١٢

وهذه الخطوة وهي القالة بين الناس، وزرع الشحناء والبغضاء بين المسلمين: مفسدة للقلوب والأديان، فإفسادها كبير، وجرمها عظيم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ الأعراف: ٥٦، وقد جاء النهي عن التحريش بين البهائم، كما روى أبو داود والترمذي، فإذا كان التحريش بين البهائم منهي عنه، فكيف به بين المسلمين؟

ولا يقوم بهذا العمل إلا رجل ذو وجهين، وقد أخبر ﷺ بأن مِن شر الناس مَن اتصف بهذه الصفة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه". رواه البخاري ٦٠٥٨ ومسلم ٢٥٢٦.

ومن أعظم ما يكون هذا التحريش: في خيار الأمة؛ وهم العلماء والمجاهدون في سبيل الله، فينتج عن هذا انشغال أهل العلم بعضهم في بعض، ولربما وصل هذا النزاع بين أهل العلم بسبب ذي الوجهين: إلى تضليل وتبديع بعضهم بعضًا، وكذا المجاهدين يدخل فيهم المفسد والمحرّش بينهم؛ إما بسلطان ضال يدفعه، أو نفاق يؤزّه، فيكون بين صفوف المجاهدين مؤمنون يسمعون له، كما قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ التوبة: ٤٧، فينتج عن هذا خلل في صفوف المجاهدين، ولربما وصل الأمر إلى سفك الدماء بينهم.

ولقد أمر الله عز وجل بالإصلاح بين عباد الله المؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ الأنفال: ١، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ الحجرات: ١٠، فأمر بالإصلاح بين المسلمين سواء كانوا فرادى أو جماعات، بل إن الكذب على قبحه رخص فيه الشارع من أجل الإصلاح بين الناس.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، ثم ذكر حديث أم كلثوم بنت عقبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس؛ فيُنمي خيرًا ويقول خيرًا". رواه البخاري ٢٦٩٢ ومسلم ٢٦٠٥.

وهذا الإصلاح من أعظم القربات، بخلاف الإفساد؛ فإنه حالق للدين، فعن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة"، وذكر الترمذي أنه روي: بأنها "الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين". الترمذي٢٥٠٩ وصححه وأبو داود ٤٩١٩ وأحمد ٦\٤٥٤.

فإن نجا من هذه العقبة بنور الإيمان في قلبه وسلامة صدره؛ دعاه إلى الخطوة الرابعة؛ وهي: خطوة الكبائر على اختلاف أنواعها، فإذا أوقعه فيها: زينها له وحسنها في عينه، وسرّف به، وفتح له باب الإرجاء وقال له: لا يضر مع التوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشرك حسنة!

وأحرص ما يكون عدو الله إبليس أن يوقع في هذه الخطوة عالمًا، لا سيما إذا كان عالمًا متبوعًا، فهو حريص على ذلك؛ لينفر الناس عنه، ثم يشيع ذنوبه ومعاصيه في الناس، ويستنيب له نوابًا يشيعونها ويذيعونها؛ تديّنًا وتقرّبًا بزعمهم إلى الله تعالى، ونسي النصيحة التي سماها النبي ﷺ: "الدين النصيحة". رواه مسلم ٥٥ عن تميم الداري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وهذا جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: بايعت رسول الله ﷺ، فاشترط علي "والنصح لكل مسلم". رواه البخاري ٢٧١٤ ومسلم ٥٦

ونسي الستر الذي جاء في فضله قول النبي ﷺ: "ومَن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة". رواه البخاري ٢٤٤٢ ومسلم٢٥٨٠.

وصار بفضحه وإشاعة الفاحشة في هذا العالم نائبًا من نواب إبليس شعر أو لم يشعر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ النور: ١٩، هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها، فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها؟ لا نصيحة منهم، ولا رحمة لهم، ولكن طاعة لإبليس، ونَيْبَةً عنه، كل ذلك لينفر الناس عنه، وعن الانتفاع بعلمه وتعليمه، وذنوب هذا ولو بلغت عنان السماء: هي أهون عند الله من ذنوب هؤلاء؛ فإنها ظلم منه لنفسه، إذا استغفر الله وتاب إليه: قَبِل الله توبته، وبَدّل الله سيئاته حسنات، وأما ذنوب أولئك: فظلم

للمؤمنين، وتتبع لعوراتهم، وقصد لفضيحتهم، والله سبحانه بالمرصاد، ولا يخفى عليه كمائن الصدور ودسائس النفوس.

فإن قطع هذه الخطوة بعصمة من الله، أو بتوبة نصوح تنجيه منها؛ طلبه على الخطوة الخامسة؛ وهي: خطوة الصغائر، التي إذا اجتمعت ربما أهلكت صاحبها، فيقول له: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللمم؟ أَوَ ما علمت بأنها تكفّر باجتناب الكبائر والحسنات؟

ولا يزال يهون عليه أمرها ويسهلها، حتى يصر عليها، ويستهين بها، فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالاً منه، والإصرار على الذنب أقبح منه، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار، وقد قال ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "يا عائشة؛ إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها مِن الله عزوجل طالبًا" رواه أحمد ٦\٧٠.

ومثّل النبي ﷺ المحقرات كما جاء في حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: "إياكم ومحقرات الذنوب؛ فإن مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن وادٍ، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود، حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقّرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه". رواه أحمد ٥\٣٣١.

وقال أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إنا كنا لَنعدّها على عهد النبي ﷺ من الموبقات". رواه البخاري ٦٤٩٢.

وعن أبي أيوب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: "إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها وينسى المحقرات، فيلقى الله وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال منها مشفقًا حتى يلقى الله آمنًا" رواه أسد بن موسى في الزهد.

فإن نجا وأعجز عدوه من هذه الخطوة، بالتحرز والتيقظ والتحفظ، ودوام التوبة والاستغفار، وأتبع الحسنة السيئة؛ طلبه على الخطوة السادسة؛ وهي: خطوة اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها فوت الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها، فشغله عن الاستكثار من الطاعات وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن، ثم إلى ترك الواجبات، وأقل ما ينال منه تفويته الأرباح والمكاسب العظيمة والمنازل العالية.

فإن نجا منها ببصيرة تامة، ونورٍ هادٍ، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها، وكان حافظًا لوقته، شحيحًا به، يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها، وما يقابلها من النعيم والعذاب؛ نقله إلى الخطوة السابعة؛ وهي: خطوة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فيشغله بالعمل المفضول، ويحضه عليه، ويحسنه له ويزينه، ويريه ما فيه من الفضل والربح؛ ليشغله بذلك عما هو أفضل منه، وأعظم كسبًا وربحًا؛ لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب: طمع

تخسيره كماله وفضله ودرجاته العالية، فشغله بالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضي عن الأرضى له، وقل من يتنبه لهذا من الناس؛ فإنه إذا رأى فيه داعيًا قويًّا ومحركًا إلى نوع من الطاعة: لا يشك أنها طاعة وقربة، فإنه لا يكاد يقول إن هذا الداعي من الشيطان، فإن الشيطان لا يأمر بخير، ويرى أن هذا خير، فيقول: هذا الداعي من الله، وهو معذور، ولم يصل علمه إلى أن الشيطان ربما يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير؛ إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوّت بها خيرًا أعظم من تلك السبعين بابًا وأجلّ وأفضل، وهذا لا يتوصل إليه إلا بنور من الله، يقذفه في قلب العبد، يكون سببه تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله، وأحبه إليه، وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله ولرسوله ﷺ، ولكتابه، ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم، وهذا لمن فقهه الله بالأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل والتمييز بين أعلاها وأدناها، ومفضولها وفاضلها، ورئيسها ومرؤوسها، وسيدها ومسودها، فقد كان النبي ﷺ يُسأل عن ذلك كله فذكر الإيمان، فقال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" رواه البخاري ٩ ومسلم ٣٥ وهذا لفظه عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وسئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: "الإيمان بالله والجهاد في سبيله"، وسئل: أي الرقاب أفضل؟ قال: "أنفسها عند أهلها" رواه البخاري ٢٥١٨ومسلم ٨٤

وسئل: أي الإسلام أفضل؟ قال: "مَن سلم المسلمون مِن لسانه ويده" رواه البخاري١١ ومسلم ٤٢

وسئل: أي الصدقة أفضل؟ قال: "أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى" رواه البخاري ١٤١٩ ومسلم ٢٠٣٢

وسئل: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: "الصلاة في جوف الليل"، وسئل: أي الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: "شهر الله المحرم" رواه مسلم ١١٦٣

وسئل: أي الكلام أفضل؟ فقال: "ما اصطفاه الله لملائكته ولعباده: سبحان الله وبحمده" رواه مسلم ٢٧٣١.

وعن شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: "سيد الاستغفار أن تقول: اللّٰهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". الحديث بوّب على ذلك البخاري، باب أفضل الاستغفار.

وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم مِن فقههم يعتنون بالسؤال عن ذلك، ولا يقطع هذه الخطوة إلا أهل البصائر والصدق من أولي العلم السائرين على جادة التوفيق، قد أنزلوا الأعمال منازلها، وأعطوا كل ذي حق حقه.

فإذا نجا منها؛ لم يبقَ هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة، لا بد منها ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبياؤه، وأكرم الخلق عليه؛ وهي: خطوة تسليط الشيطان جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير، وكل ما علت مرتبته: أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده، ولربما سلط عليه ماله وأهله بأنواع التسليط، وهذه الخطوة لا حيلة له في التخلص منها؛ فإنه كلما جد في الاستقامة، والدعوة إلى الله، والقيام له بأمره: جَدّ العدو في إغراء السفهاء به، فهو في هذه الخطوة والعقبة قد لبس لأمة الحرب، وأخذ في محاربة العدو لله وبالله، فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين، فهؤلاء هم أهل الله حقًّا، فإنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله ﷺ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم، فيقال لهم: ألا تنطلقون حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس ونحن أحوج إليهم منا اليوم، وإنا ننتظر ربنا الذي نعبده، فوليّهم الله ورسوله، والذين آمنوا وإن عاداهم أكثر الناس وجفوهم، فمن أراد أن يسلك هذا الصراط: فليوطّن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه، وطعنهم عليه، وإزرائهم به، وتنفير الناس عنه، وتحذيرهم منه، وتكفيرهم وتضليلهم وتبديعهم له، وقصدوا إخماله وإطفاءه، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ، حتى أن الرجل منهم يرحل من مضر أو من اليمن إلى ذي رحمه، فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك. رواه أحمد

٣٤٠\٣ وقال ربيعة بن عباد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رأيت رسول الله ﷺ وهو يمر في فجاج ذي المجاز، ويأمرهم أن يتبعوه، ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو غديرتين، يتبعه في فجاج ذي المجاز ويقول: إنه صابئ كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا عمه أبو لهب. ٤٩٢\٣

فكل من دعاهم إلى خليله ﷺ وقدح فيما هم عليه؛ فهنالك تقوم قيامتهم، ويبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله، كما فُعل بأسوته وقدوته! فهو غريب في دينه لفساد أديانهم، غريب في تمسّكه بالسّنة لتمسكهم بالبدعة، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريب في صلاته لسوء صلاتهم، غريب في طريقه لضلال وفساد طرقهم، غريب في نسبته لمخالفته نِسَبَهم، غريب في معاشرته لهم لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم، وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامة مساعداً ولا معيناً؛ فهو عالم بين جهّال، صاحب سنة بين أهل بدع، داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبدع، آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر؛ بين قوم المعروف لديهم منكر والمنكر معروف، آخذ بعنان فرسه مجاهد في سبيل الله، كلما سمع صيحة أو هيعة طار يبتغي الموت مظانه، بائع نفسه وماله في سبيل الله، عند قوم يرون ذلك إرهاباً وجريمة لا تغتفر، وصاحبه في قائمة المطلوبين، فهنيئاً له، وتبًّا لمن عاداه، وأرغم الله أنفه، وأبقى الله له ما يسوؤه.

وختاماً\

فإن كثيراً من هذا المقال نقلته بتصرّف وزيادة ونقصان من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشاركة لنشر الخير، والحمد الله أولاً وآخرً وظاهراً وباطناً، لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، وصلى الله وسلم وبارك على سيد ولد آدم؛ الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ولم يخش في الله لومة لائم، حتى أتاه اليقين من ربه؛ وهو نبينا محمد بن عبد الله .